ستديو ثقافة شعبية

المحطة العالمية في بغداد

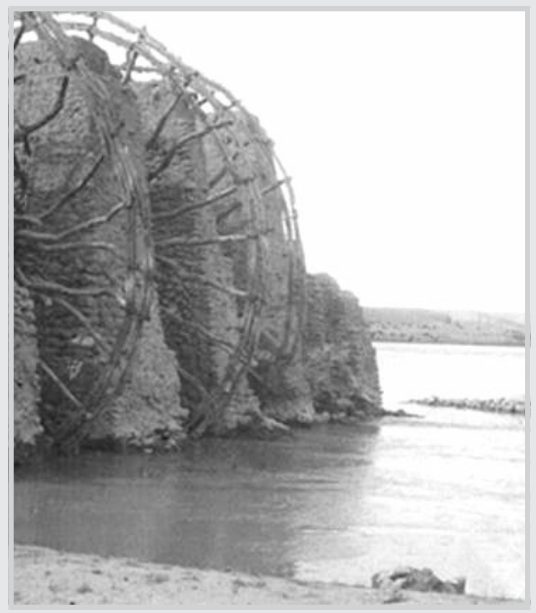
نواعير

السينما الصيفية

ذكريات

ميراث حسين النحوي

عمران السعيدي

في خمسينيات القرن الماضي وفي قرية عرب المعدان عند شاطئ جزيرة (أم الخنازير) كان حسين النحوي هو الوحيد الذي يعرف القراءة والكتابة وبشكل بسيط جداً. كان هذا الرجل يأتينا عصر كل يوم على دراجته الهوائية الرايلي والتي كان الاهالي يطلقون عليها اسم (حصان الحديد) وهي عبارة عن دراجة قديمة بدون (جامغ) يأتي حسين النحوي وقبل غروب الشمس حاملاً معه عدة الخط مكونة من عبوة نحاس معبأة بالقطن والحبر الازرق مع قطعة قصب مشذوبة الرأس لكتابة الحروف على اكياس واقفاص المحاصيل الزراعية.

يرمي حسين دراجته عند كتف ساقيه ويبدأ بالتنقل بين المزارع فوق شاطيء دجلة الاخضر ويبدأ برسم حروف ورموز غريبة فوق اكياس الجوت والاقفاص المحملة بالخضرة من شتى الانواع من خيار وطماطة وفلفل وبامية ولوبيا وشمام وبطيخ ورقي وغير ذلك مما تجود به مزارعنا من خير في زمان الخير

يكتب حسين ارقام وحروف اصحاب الحاصل الزراعي كي يؤكد عائديتها حين تنقل الى علاوي الحلة حيث البيع بالمزاد هناك.

يأخذ حسين النحوي بعض دراهم عن عمله هذا والذي يحبه جميع الفلاحين على هذه الخدمة الطيبة وهو عمل متعب جداً حيث يجتاز ابو علي السواقي والانهر العالية عابراً دروب الشوك والعاقول والكطب والحلقة كي يصل الى الكيس المقصود حيث يضع الفلاحون حاصلهم وسط البشوت الواسعة بين خيوط السواقي واكتافها الممتدة.

تمضي الايام والسنون وحسين على حاله المرهق وتشاء الصدفة ان يقام مشروع مصفى الدورة عبر اراضٍ تعود لعائلة حسين النحوي البور وتجري عملية التعويض النقدي وبتقديرات خيالية في ذلك الوقت وتأتي حصة حسين كبيرة جداً هي الاخرى.. فيصبح حسين النحوي ثرياً بين ليلة وضحاها.

يطير حسين النحوي ولم يحط على ارض جنوناً بالارث الذي جاءه بشكل مفاجئ ويرمي دراجته جانباً ويشتري سيارة حديثة ويتعلم السياقة بسرعة مذهلة يبدأ حسين بجولات مسرفة بين بغداد وبيروت والقاهرة واستانبول وقبرص فكان حسين يحلق شعر رأسه في بيروت ويحضر حفلات ام كلثوم في القاهرة.. راح ابو علي يلعب القمار ويمارس الموبقات بكل انواعها تاركاً اطفاله وعائلته دون اهتمام او رعاية.. اطفاله صغار السن تركهم يلعبون ويسبحون في السواقي القذرة مع الضفادع والكلاب السائبة ويسرقون فواكه البساتين وخضرة المزارع دون رقيب..

تستمر الحال مع حسين وهو على هذه الحال في البذخ والعبث واللهو وتدور عليه الدوائر وينهي آخر دينار في جعبته ويفلس ابو علي تماماً.. يعود حسين بعد هذه التجربة الى قريته بائساً بذقن طويل يتنقل بين مقاهي الطين وهو يرتدي دشداشة بارزة مقلمة وراح الاصدقاء يعطفون عليه بدفع ثمن الشاي او شيش كباب حيث تنتابه حالة من الجنون والضياع بعد كل ذلك العز.. ويترك اهله واطفاله مندفعاً بين المزارع والقبور المحيطة بها وهي مقبرة الدورة والتي كانت تسمى (خشم الدورة) وهي عبارة عن مجموعة قبور تقع بين تلول الدورة وام الطبول وسط اكوام الشويل والحرمل والطرطيع والشفلح والكلغان والكسوب ومفارات بنات اخرى والغريرية وابو الحصين والكرطة وثقوب اعشاش ابو الخضير وبواك الحنة ومغارات الافاعي.. والارانب.. راح حسين ينام ليلاً وسط هذه المقابر كئيباً نحيفاً تأخذه حالات جنون ويروح يركض وسط القبور ويغني احياناً واحياناً يبكي بحرقة.. تبكي كل من شاهد وسمع عنه.

حاول الاهل والاصدقاء اعادته الى عائلته دون جدوى وجربوا معه كل الادوية الشعبية وطب السحرة.. والملالي وبقي حسين على حاله تائهاً بين القبور ليلاً.. اما النهار فيقضيه بين البساتين والمقاهي يتصرف عليه الاصدقاء..

ساءت حالته واخذ يطيل البقاء في المقابر غافياً تحت فيء قبر او شتلة حرمل او شويل... قل طعامه وهزل جسمه وقلت حركته.. وفي صباح شباطي بارد عثر اصاحب الجاموس على حسين النحوي ميتاً تحت ظل شتلة حرمل عالية، تحوم فوقه طيور الغراب وابو الخضير والعقعق محاولة النزول على عينيه لقلعهما والبدء بنقر باقي اجزاء جسمه التي اخذ العفن يزحف نحوها.. فقام الاهل والاصدقاء بحفر قبر له قريباً من موقع موته وتحت فيء الشتلات البرية الممتدة عبر دروب تلك المقبرة.

بكينا حسين النحوي وتذكرنا عبوة حبره الازرق ودراجته والقصبة المدببة.. ولم نعد بحاجة لتلك القصبة حيث تعلمنا على يد الملة فاطمة كتابة الحروف وبشكل اجمل من خط حسين النحوي وحبره الازرق واخذنا نقوم بهذا العمل لأننا نقرأ ونكتب بفضل الملة فاطمة.

من المحرر

كتب الثقافة الشعبية العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

تقوم دور نشر ومراكز توزيع في دول عربية واوربية باعادة طبع وتوزيع كتب الثقافة الشعبية العراقيةمنذ سنوات دون حسيب او رقيب لادراكها ان لا أحد يسأل عن غنيمة جاءت لليد بدون تعب ولا خوف من حساب.

وقبل ان نذكر للقارئ الكريم بعض عنوانات الكتب المنهوبة، لابد من الاشارة الى ان الكتاب الذي يبحث في الثقافة الشعبية العراقية هو كتاب مرغوب قرائيا في كافة الدول العربية وخارجها،فالكل يريد استزادة معرفته عن العراق واهله قديما وحديثا ولاسباب متعددة و (معروفة) منها الموضوعي الثقافي ومنها محبة العراق حاضرا وتاريخا ومكانة حضارية واذا كان ضروريا ان نذكر اولي الامر والنهي بشؤون النشر في عراق اليوم ان واجبهم يحتم عليهم رعاية مشروع الثقافة الشعبية فلا بد من ذكر بعض العناوين ومنها كتاب الامثال الشعبية لمحمد صادق زلزلة ومعجم اللغة العامية العراقية لجلال الحنفي و(بغداد) لامين المميز و(في تقاليد الحياة الشعبية العراقية) لكاتب هذه السطور وكتاب (الامثال الشعبية التي تجري بين العامة) للطالقاني بتحقيق عبد الرحمن التكريتي . وغيرها كثير.

وقبل ان نذكر للقارئ الكريم بعض عنوانات الكتب المنهوبة ، لابد من الاشارة الى ان الكتاب الذي يبحث في الثقافة الشعبية العراقية هو كتاب مرغوب قرائيا في كافة الدول العربية وخارجها

ان ثراء الارض العراقية الفولكلوري ووجود المئات من الكتب الصالحة لاعادة الطبع ومئات المخطوطات لدى مؤلفيها يستدعي وجود سلسلة لكتب الثقافة الشعبية العراقية بدلا من الاف الاوراق التي تطبع وتسمى كتبا دون ان يهتم بها احد.

أثر الحكايات الشعبية في الدارمي

محمد علي محيي الدين

الحكايات الشعبية فن أصيل من فنون الأدب الشعبي، عرفها الناس قبل آلاف السنين،فقد حفل الأدب العربي بقصص وحكايات كثيرة تصور البطولة والرجولة، والنخوة والحمية،منها الحكايات الخرافية والأساطير، والكثير من هذه القصص لها أهداف اجتماعية وتربوية، تدعوا لنشر الفضيلة وأعمال الخير وتساهم في ترسيخ المعايير الإنسانية الهادفة لبناء المجتمع المثالي وإشاعة المفاهيم الحرة.

وما يعنينا في هذه الدراسة،هو تأثير الحكايات الشعبية على الدارمي وكيفية الإفادة منها في توليد الصور والمعاني،ولا أراني في هذه العجالة قادراً على تسجيل كل ما وجدته من نصوص ولكنني سأشير إلى بعضها : فمن حكايات البهلول المعبرة عن الرفض للظلم والتعسف والطغيان ومواجهة الاستبداد الحكاية المعروفة(قدر البهلول) التي تتلخص في أن أحدهم قد راهن أحد السلاطين على المبيت عارياً في زمهرير الشتاء في مكان مرتفع مكشوف، وفي الصباح سأل السلطان ذلك الشخص عما شاهده في ليلته تلك؟ فقال لقد رأيت ناراً بعيدة على سطح دارنا.- وكانت تلك النار قد أوقدتها أمه- فقال له السلطان لقد تدفأت بتلك النار ولم تكسب الرهان،فقال له أنها بعيدة يا مولاي ولا يمكن للإنسان أن يتدفأ بها، أو يستفيد منها فطرده السلطان،وعندما سمع البهلول بتلك الحكاية أسرها في نفسه وقام بعد أيام بدعوة السلطان إلى الصيد في البراري، فخرج السلطان وحاشيته إلى الصيد واخبرهم البهلول أن غدائهم سيكون جاهزا بعد آذان الظهر،وعندما حان موعد الغداء طلبوا من البهلول الطعام فقال لهم انه على همة النار وظل يعدهم حتى الساعة الثالثة بعد الظهر، فأستبد بالسلطان الغيظ وطلب منه أن يريه موضع الطبخ،والقدور التي على النار، فتوجه معه إليها فشاهدها قد وضعت على أثافي عالية جداً وتحتها نار قليلة،فقال له السلطان:كيف سينضج الزاد على هذه النار القليلة والقدور بهذا الارتفاع؟فقال له إذن كيف تدفأ فلان بالنار التي أوقدتها أمه على بعد مئات الأمتار، ففطن السلطان لذلك وأجاز صاحب الرهان بما اتفقوا عليه.

وقد أشارت قائلة هذا الدارمي إلى تلك الحكاية في قولها:

ترچيبة البهلول
جدري اشيفوره
يلكي المصايب بيه
كلبي اليدوره

ولحكاية مجنون ليلى أثر واضح في الآداب الشعبية عامة والدارمي بخاصة ذلك أن قصته أصبحت مضرب الأمثال للأحبة والعشاق وهناك الكثير من النصوص التي أشارت إلى هذه القصة أكتفي بنص واحد خوفاً من الإطالة:

شعري أرد أكصه عليك
حد ويه المتون
ما بچت مثل بچاي
ليله عله مجنون

وبالإضافة إلى تضمين الحكايات والقصص الشعبية،فأن وراء الدارمي الكثير من القصص المتداولة بين الناس، فبعض الأبيات لها قصص ومن ورائها حكايات وأحداث، سنشير للبعض منها مع أيراد الحكاية بصورة مختصرة لأن موضوعاً كهذا يحتاج إلى كتاب قائم بذاته.

ومن الحكايات التي يجدر الإشارة إليها ما حدث أبان ثورة العشرين الخالدة لفتاة عربية جريئة، حيث قام أحد جنود الاحتلال من الهنود، بالتعرض لهذه الفتاة الباسلة وحاول الاعتداء عليها وسحبها من شعرها، ولكنها قاومته بما جبلت علية من شرف وعزة،ومانعت بما لديها من قوة اكتسبتها من خلال الأعمال الزراعية التي تمارسها يومياً،واستطاعت التخلص منه وولت هاربة لأهلها وأخبرتهم بما حدث،ولكن بعض أهلها أراد السكوت عن الأمر والتغاضي عنه بسلامتها،ولكنها انتفضت صارخة بهم:

مضمومة للهندوس
يمته الترك يلفون
وأخذ عتبتي
لزمة كذلتي

أي سيبقى في نفسي هذا العمل الجبان ولن أنساه ما حييت وعندما يعود الترك إلى الحكم سأنال ثأري من هذا الهندي العاجز.

ولكن العرب بما جبلوا علية من الأنفة والشرف وما عرف عنهم في الدفاع عن العرض،هبوا هبة رجل واحد وهجموا بأسلحتهم التقليدية على تلك الشرذمة الصغيرة وأطلقوا عليهم العيارات النارية فقتلوا وجرحوا بعضهم وفر الباقون، مما حدا بقائد الجند إلى تجنب الدخول إلى القرى العربية، والإيعاز إلى جنوده بعدم التعرض للنساء.

كتابة الكارثة.. بالشعبي !

جودت جالي

صفحات وملاحق خاصة بالثقافة الشعبية والشعر الشعبي. في الصحف البغدادية وصحف أخرى ومطبوعات خاصة بهذه الثقافة الأساسية نجدها بكم ونوع ملفتين للنظر الى جوار كتب أخرى في المكتبات وعند باعة الصحف. تذكرنا هذه المرحلة، ونحن في مفصل تأريخي عسير، بمفاصل تأريخية ذات سمات مشابهة، وتحديدا، بدور الثقافة الشعبية والشعر الشعبي خصوصا في التصدي للتعبير (التأريخي) و (اليومي المعاش) معا بوسائله وأساليبه المتكيفة للظروف. أن الحد الواضح الفاصل لدينا في العراق وفي البلدان العربية عموما، لغويا مابين الشعر الفصيح وبين الشعر العامي (الشعبي) لم يكن مانعا لهما من أن يتقدما سويا بخطى ثابتة ويعبرا، كل من أفقه الخاص، عن الظرف والحدث وأثره في الأنسان، غير أني أزعم أن الشعر الفصيح ليس ضعيف الأستجابة للمتغيرات العنيفة، ولكن تسجله الآني في الذاكرة الثقافية (وليس في التأريخ الثقافي) لايساوي في العمق والمدى تسجل وأثر الشعبي، مثلما أن الشعر الشعبي أيضا لايمكنه، من جهته وبهذه الميزة، أزاحة، أو حتى سبق الشعر الفصيح المكتوب بلغة تستمد رسوخها ودوامها من لغة النص القرآني ومن مؤسسات ثقافية (ودينية) وتأريخية تمتلك أدامة متبادلة مع الوضع الحضاري. إن حالة التعايش هذه بين لغة قومية (ودينية بأعتبار التبني القرآني لها) وبين لهجة غير قومية تتفاهم بها مختلف قوميات الشعب (وغير دينية) تمثل حالة فريدة تشهد عليها النصوص المشتركة و (المنافع) المشتركة والأستعارات المتبادلة بينهما عند شعراء كثيرين. أن (شرعية) اللغة الفصحى أضافة الى ماسبق تجعل من (ضرورة) اللهجة العامية في الثقافة ملحقا من ملحقاتها رغم الحيوية الخاصة لهذه الضرورة وتكون قيمة عليها بشكل ما (نحن نكتب الآن بالفصحى عن العامية .... مثلا). لكن هذه لم تكن تأريخيا هي الحالة نفسها في تجارب شعوب أخرى، ففي أيطاليا ولعدم توفر عناصر التعايش (وأنعدام الهيمنة من جانب اللغة الفصحى) المشار أليها توا أزاحت (العامية) اللغة الفصحى أزاحة كلية بدءا من أعوام ١٤٩٤-١٥٥٩، وكانت هذه أعوام حروب داخلية طاحنة. أن اللاتينية وهي لغة شعب منقرض لم يكن بمقدورها البقاء على أدعائها تمثيل شعب آخر حي تطحنه الحروب وتعبر عن آلامه بصيغ وتعابير أثرية. أنتفضت العامية وتصدت لتمثيل شعبها على يد مثقفين تثقفوا بالثقافة اللاتينية بالطبع، لكنهم لم يكونوا فقط يمتلكون القدر الكافي من الأحساس باللحظة التأريخية الحاسمة بل أيضا يشعرون بضرورة أستبدال النظام اللغوي كله لمواجهة التأريخ وهو في ذروة هيجانه. يمكننا أن نسميهم (جيل الحرب) وبلغوا سن الرشد في أتونها. أن تغيير الأنماط اللغوية والبلاغية، وبأنماط جمالية وأخلاقية أفرزتها الأحداث، كانت الأساس لأدب جديد ورؤية جديدة أقامتها الكارثة المدومة كالأعصار. كانت أكثر سرعة وأكثر عنفا من الحروب التي سبقتها فكسرت الزمن الأعتيادي وحطمت الحدود بين ماهو مدني وماهو عسكري وخلخلت التوازن المؤسساتي في المجتمع. لأن تلك الحرب، وكما هي الحال عندنا الآن في العراق، لم تعد تجري خارج المدن وفي ميادين المعارك التقليدية فتصل الى الأهالي مجرد أصداء وخسارات بشرية. أن الميراث الثقافي الشعبي الوحيد كان داخل الوعاء العامي، وأصبح هو السلاح الشعبي الوحيد الذي يمكن أن يواجه به الشعب بربرية الأحداث والغزاة من فرنسيين وسويسريين وألمان وأسبان. منذ البداية وخلال ستة أشهر فقط، من اللحظة التي عبر فيها الملك الفرنسي الى الأرض الأيطالية، تهاوت الولايات والمدن الأيطالية كقطع الدومينو من نابولي وحتى أقصى البلاد، عندها تحولت الحرب الى حرب على المدنيين، مادامت لم تعد توجد جيوش تقليدية للمواجهة، سواء من قبل الأعداء أو من قبل الأطراف المتصارعة طوال نصف قرن، كان سياقا ثابتا أن تقام المذابح بالآلاف وتنهب المدن. الحرب لم تعد تشن على هامش المجتمعات بل تضربها في الصميم، وهكذا تحول السعي الى التعبير بفخامة وأرستقراطية اللاتينية عن هذا (التوحش) العجيب الى فكرة غاية في السخافة بنظر الطليعة المثقفة. كان أول مثقف أحس بوجوب (أن لايفهم فقط أثر الحرب على البشر بل وأيضا أثرها على اللغة التي يتكلمون بها) وراقب بعناية وشخص هذه الآثار هو بيترو بيمبو (١٤٧٠-١٥٤٧) وهو الذي عكف على المحاولات الأولى وكرس حياته للتوثيق (ومايمكننا تسميته بمصطلحاتنا الحالية تنظيرا) وأشترك مع المطبعي المعروف بدقته وروعة طباعته (ألدي مانوسي) في نشر وتحقيق أعمال بيترارك ودانتي ونشر أعمال المعاصرين لهما. منذ ذلك الوقت تكتب بحوث ودراسات وتدور نقاشات حول هذه الثورة اللغوية والأنقلاب الثقافي، وتحاول العقول المفكرة أن تتوصل الى نظرية معينة تحلل وتفسر صعود اللغة العامية الأيطالية وتطورها كلغة للثقافة بلا منازع وأسبابها، لكن جميع النقاشات كانت لاتستطيع أن ترجح نظرية غير نظرية (الكارثة) !

الصيف قبل عصر الكهرباء

عبد الكناني

تشغلنا حرارة الصيف، ودرجات الحرارة العالية التي حولت صيفنا هذا العام الى قيظ شديد.

لهذا السبب، فاننا سناخذكم في جولة باردة او حارة، الى طقوس الصيف في بغداد ومدن اخرى. كيف كان الناس يواجهون الحر قبل عصر الكهرباء، وما هي وسائلهم في محاربة الحر، هذه واسئلة اخرى تنقلنا فيها لنطوف معكم في الصيف العراقي الحار قبل عشرات السنين..

وقبل ان نتعرف على تلك الوسائل نرى من المفيد ان نعرف شيئاً عن الحر في اللغة ومسمياتها، يقول العلامة حسين علي محفوظ "في حديث خصنا به سابقاً" عرف الانسان الحر والبرد واتقاهما بالسرابيل واللباس والسكن والظل، وقد امتلا المعجم بتفصيل يؤكد دقة العربية، فالحر الشديد هو الصهيد والقيظ والوقدة والرقدة والهاجرة والهجر والصخد والدمة والذمة والزمة والهم والحمارة وحمارة القيظ والعكة والغم والصيهب والاوار ومعتدل والرمض والرمضاء، والوهر وهو توهج وقع الشمس على الارض حتى يرى لها اضطراب كالبخار، والاحدرام ايضا شدة الحر بلا ريح، والخدر اشتداد الحر، لا تتحرك في ريح ولا يوجد فيه روح..

اما الباحث التراثي ناجي محفوظ فيقول:- كان الصيف في بغداد مثلما هو الان صيفاً ساخناً يدفع الناس الى مواجهته باساليب كثيرة. وقد اصبح اهل بغداد ذوي خبرة في ابتكار الوسائل التي يرتبط بعضها الى افكار علمية وبعضها الاخر الى افكار عادية، غير ان الوسائل الشعبية العامة تحضر في جملة من الصور التي نراها عادة في كثير من المظاهر، في السراديب والبادكيرات ومروحة الخيش والزنبور، او على شواطئ الانهر او المقاهي او على السطوح او بيوت الخيش- وهي حلقة في سلسلة تطور وسائل التبريد للبيوت للتخلص من وطأة حر الصيف الشديد، ولا سيما وقت الظهيرة والخيش نسيج من اراذا الكتان، ذو خيوط غليظة، ونسيج متخلخل غير محبوك، حيث توضع على النوافذ والابواب من الخارج، وكانت ترش بالماء فاذا اخترقها نحو داخل البيت برد وطاب.. اما (البادكير) فهو قناة او مجرى للهواء يتخذ في الحائظ ويستمر الى نهاية الستارة التي تعلو سطح المبنى، وهو يرد الهواء ويغيره في اجزاء المبنى ويبرد الماء. ويعود اقدم ذكر له الى نهاية القرن الاول الهجري في مدينة واسط.

ومن ابتكارات البغداديين الاخرى هو الزنبور، حيث يرتبط بنفق تحت السرداب مع البادكير، ويكون الطابوق الذي يغطي النفق او المجرى مثقباً ليخرج منه الهواء وهواؤه اشد برودة من هواء البادكير العادي..

ويستذكر السيد عبد الكريم نوشاد الحياني الصيف في الريف حيث يقول:- كنا في الريف نواجه في بعض السنين حراً شديداً اكثر حرارة من صيف هذا العام، ولم تكن لدينا وسائل كهرباء ولهذا فالنهر كان وسيلتنا الوحيدة الى اطفاء جذوة الصيف، ومع ذلك فانني ما زلت اتذكر كيف نعيش اياماً قاسية اذ كنا مضطرين ان نعمل ونشتغل والطريف ان موسم الحصاد وجني الثمار والزرع والبذار هو موسم الصيف..

ومع ذلك فلا يزال التصميم المعماري للبيت العراقي والبغدادي على مواجهة الحر يتسم بمميزات عصرية، الامر الذي وضع امام الدكتور مقداد حيدر الجوادي الاختصاص بالهندسة المعمارية مهمة بناء بيت في الموصل يعد فريدا في العالم في مواصفاته المعمارية التي تهيئ ظروفاً طبيعية وتستغني عن الوسائل الحديثة في التبريد.. حيث يقول:- لقد كانت وسائل التهوية الطبيعية في الابنية التراثية عاملاً مهماً في توفير الراحة للمستخدمين من قساوة البيئة الحرارية، وعاملاً مهماً في توفير الراحة الصحية للساكنين، تساندها عمليات التشميس في التعتيم خاصة للفضاءات مضيفاً:- ان الافكار المستخدمة في الابنية التراثية تعد الصيغة المثلى في هذا الجانب حيث ان عمارتنا الحديثة تحتاج الى الوسائل الاصطناعية في توفير التهوية والتبريد وتوفير الراحة الحرارية لساكني المباني مما ادى الى ارتفاع حرارة المدينة نتيجة ما تنفثه هذه الاجهزة من حرارة معاكسة الى فضاء الشارع، وما تسببه من امراض نتيجة المياه الراكدة فيها، ناهيك عن ترك المعماريين لامور اساسية في التصميم جعلت غالبية مبانيهم لا يمكن ان تستخدم بشكل مريح اذا ما انقطع التيار الكهرباء او عطل جهاز من الاجهزة.

ومن المدن العراقية التي ابتكرت وسائل لمواجهة الحر، مدينة النجف الاشرف، نظراً لمناخها الجاف والحار، ولكون ارضها رملية شبه صحراوية حيث اعتاد النجفيون ان يحفروا او ينحتوا تحت بيوتهم اقباء او انفاقاً تقيهم الحر الشديد سموها السراديب وقسموها الى ثلاثة اقسام، كل قسم يمثل طبقة من طبقات ما تحت بيوتهم فالاول سموه (راه رو) وعدد درجات سلمه الى الاسفل (٨-١٢) درجة. والثاني سمي بالسرداب الوسط و الوسيط او الوسطاني وعدد درجاته من (٢٠-٢٤). والثالث سمي بالسرداب السن وسبب تسميته (بالسن) لان الارض تكون قوية مهما نزلت فيها متعمقاً، لاتلاقيك رطوبة، ودرجات هذا النوع من السراديب تقدر ما بين (٥٠-٧٠) درجة. وقسم منها تتمتع بمنافذ هوائية (بادكيرات)، يحتاج ساكنوها الى ان يتغطوا ببطانيات بسبب الاجواء الباردة.

ولعل اسلافنا العظام كانوا السباقين في ابتكار وسائل لتكييف الهواء الماء الساخن. ومن هؤلاء احمد بن ابي حجلة التلمساني المتوفى سنة (٧٧٦هـ)، حيث يقول في كتابه (المخطوط) سلوك السنن الى وصف السكن- عن الدار، ان تكون عن طريق نافذ، وماؤها يخرج، وليس على متشرف، وحدود لها، وتكون بين الماء والسوق، ويصلح فناؤها لحط الرحال، وبل الطين ووقوف الدواب، وان كان لها بابان فذلك امثل..

انصب الحديث عن وسائل التبريد والتهوية عند العراقيين اتقاء لحر الصيف قبل عصر الكهرباء، لكن هل هناك افكار عند مهندسينا ومؤسساتهم المختصة حالياً لتصاميم تستلهم التراث العراقي من ناحية التكييف والتهوية تقلل من استعمال الاجهزة..؟

في احدى الندوات العلمية اعلن احد وزراء الاسكان:- ان مشكلتنا على المدى البعيد هي كيفية التقليل من الحمل الكهربائي في التصميم الانشائي الحديث، داعياً المهندس العراقي الى ابتكار اشياء تسهم في مساعدة الحمل الكهربائي في الابنية، لان كلف المواد العازلة عالية، ولابد لعمل اية عملية عزل حراري لحساب الكلف الكهربائية..

نشرت احدى الصحف اللبنانية في الستينيات خبراً بمانشيت عريض على صفحتها الاولى يعلن ان ((بغداد تحترق)) وهرع العراقيون المتواجدون في لبنان يومذاك لمعرفة الامر، ففوجئوا ان الخبر يقول –وصلت درجة الحرارة في بغداد الى (٤٥) درجة مئوية..